



جدد إيمانك بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

التاريخ: 08 شوال 1431 هجري خالد المغربي - فلسطين - القدس - المسجد الأقصى
وفق 2010/09/17م
www.al-msjd-alaqsa.com

نبضات من بيان الفاتحة - الحلقة الثامنة والعشرون

في معنى قوله عز وجل في سورة الضحى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ)

جاء في منتدى المسجد الأقصى موضوع بعنوان (الآيات البيّنات) للعضو يحيى حسن هذا نصه:
(من الآيات القرآنية التي تستمتع بسماع تفسيرها هو قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ). حيث قام بعض جهلة المفسرين بتفسيرها بطريقة خاطئة، تعالوا معاً نفسر ونوضح ما معنى كلمة (ضال) وهي تعني (انحرف). فلو عدنا الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في طفولته وشبابه فسوف تجده صلى الله عليه وسلم كان بعيداً عن مجالس الخمر والميسر وكان أبغض شيء يكره ان يشاهد قومه يعبدون الأوثان والأصنام وكان دائم التفكير بأنها لا تنفع ولا تضر وأن للكون خالق عظيم أحق بالعبادة، وعليه فمعنى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ) أن قومه من المشركين كانوا منحرفين عن سلوكه البعيد عن الخمر والميسر ومنحرفين عما يعتقد الرسول تجاه الأوثان والأصنام. كما ان لفظ (ضالاً) بمعنى الغافل سواء في الأحكام أو الشرائع ولم يكن الرسول يعلم شيء عن الشرائع والأحكام والقرآن حتى هداه الله اليها عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام. ومن تفسيرات السابقين لقوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ) ان الله وجد الرسول ضالاً في قومه الذين يعبدون اصناماً فأنعم الله على رسوله بأن هداه لوحداية الله ودين الحق. ويشتمل التفسير ايضاً بأن الرسول تواجد في قوم ضالين فهداهم الله على يدي رسوله صل الله عليه وسلم).

وكان هذا ردي على هذا الموضوع:

أخي الحبيب يحيى أكرمك الله، في معنى قوله عز وجل في سورة الضحى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ)، دعنا لا نتعجل في تجهيل البعض أو حتى رفع البعض الآخر عنان السماء بلا بينة أو برهان، فكل من قام بتفسير القرآن أو حتى قام بمحاولة تفسيره مخلصاً النية لله تعالى لا يمكن أن يكون جاهل، فالجهل كلمة عامة شاملة مطلقة، وما لا

Jerusalem - The old City - Esa'dya - Elmazenah Elhmra - No. 9
P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683
E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org
www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com

القدس - البلدة القديمة - حارة السعدية - طريق المئذنة الحمراء - رقم 9
ص.ب: 51172، تليفاكس: +97226282173 محمول:
+972523623683، بريد إلكتروني: khm@khm2000.com
www.almrkz.org, www.al-msjd-alaqsa.com
www.a-q-s-a.com



شك فيه أن كل من فسر القرآن أخطأ في أمر ما، ولا يمكننا أن نصفه بالجهل نتيجة الخطأ، فالخطأ أمر حتمي يقع على الإنسان، وهذا مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون) - المحدث: ابن باز - المصدر: مجموع فتاوى ابن باز - لصفحة أو الرقم: 2/27 - خلاصة حكم المحدث: صحيح، وهذا يعني أن الأنبياء قد يخطئوا، فكيف نُجهل الانبياء بأخطائهم؟! لذلك فإن المفسرين السابقين المجتهدين الذين أخلصوا النية لله تعالى لهم منزلة عظيمة في قلوبنا وحظ وافر من إحترامنا وتقديرنا، اضف لهذا أن لكل موضوع نظر إليه أكثر من زاوية رؤوية، وربما اختلف شخصان على أمر ما وكان الإثنان مصيبين، بمعنى أن الصواب والخطأ، -ولا أقول الحلال والحرام- أقول الصواب والخطأ -أي ضمن دائرة المباح والإعتقاد السليم- قد يختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر، فما قد نعتقه صواباً ونحن شباب قد يصبح خطأ عندما نتقدم بالسن، والعكس صحيح، وما قد يراه الناس في المشرق صواباً قد يراه أهل المغرب خطأ، والعكس أيضاً صحيح، من أجل كل هذا، علينا عندما نصل لمنعطف تفكيري يحتاج قراراً بشأنه، أن نقوم بسؤال أهل الذكر كما ذكرت أنت، مصداقاً لقوله عز وجل في سورة النحل (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، وكما قال في سورة الأنبياء (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، ثم نضع كل احتمالات الأجوبة التي عندهم، وبجانبتها نضع إعتقادنا نحن، وندرس كل هذه الاحتمالات، ونتدارسها ونتشاور بشأنها بعضنا مع بعض حتى نصل لرأي سليم يطمئن له القلب ويتوافق مع العقل ويتمشى مع قوانين العلم المثبتة والتي لا تتعارض مع صريح الدين، والآن وبعد هذا التقديم، دعنا نستقصي ونتدرج في معنى الضلالة والهداية -هذا الموضوع الشاق والشائك- بنقاط بسيطة وخفيفة حتى نضع إصبعنا على المعنى السليم الذي يطمئن له القلب:-

1. يجب أولاً وقبل كل شيء أن نفرق ما بين (الجاهل) والذي (لا يعلم)، وبرأبي أن الذي (لا يعلم) هو الذي لم تصله المعلومة فهو لا يعرفها أصلاً فهو (لا يعلم) أي أن المعلومة غير متوفرة وغير متاحة لهذا الشخص وليس هناك من وسيلة للوصول لها، أم الجاهل فهو الذي وصلته المعلومة ولكنه لم يستفد منها ولم يعمل بمقتضاها ولربما عمل بعكسها فوصل لدرجة (الحُمق)، فالمعلومة متوفرة والجاهل يعلم بوجودها ويستطيع الوصول لها ولكنه لم يأخذ بها فهذا (جاهل)، لذلك فنحن نطلق على عصر قرش قبل مجيء سيدنا محمد (عصر الجاهلية)، فهم كانوا على علم بأن الله هو رب العالمين إلا أنهم عبدوا الاصنام لتقربهم من الله، يقول عز وجل في سورة الزمر (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا



لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ.

2. أدنى درجات الضلال هو عدم العلم أصلاً، وهو ليس بعيب، ولكن يتوجب عليك السعي للحصول على العلم المانع لهذا الضلال، فدائماً يجب أن يقر في قلوبنا أن هناك علمٌ لا نعلمه وأن علينا الحصول عليه، ودفع الضلال يدفع باتجاه الهداية، فالهداية هي الخروج من الضلال.
3. درجة أعلى من هذه الدرجة من درجات الضلال، أن تكون قد هُديت وخرجت من دائرة الضلال ووصلت دائرة الهداية بأن عُلِّمت وتعلّمت العلم الحق ولكنك نسيت أو نُسيت هذا العلم، وهنا فأنت تحتاج لتذكير لهذا العلم، ولا بد لك من مراجعة ومشاهدة ونظر وسمع وتدبر وتفكر ودراسة حتى تتذكر هذا العلم.
4. من أعلى درجات الضلال، أن يتم تعليمك ثم تنسى ثم يتم تذكيرك ولكنك ترفض التذكر، وتستبدل العلم الصحيح في قلبك بعلم خاطئ، ففي هذا الحالة تصبح (ضال) كما هو حال النصاري الضالين.
5. أما أعلى درجات الضلال على الإطلاق أن يتم تعليمك فتنسى ويتم تذكيرك فتتذكر ولكنك ترفض السير على مقتضى هذا العلم الذي تذكّرت في قلبك، وهؤلاء يحل عليهم غضب الله ويصبحوا من (المغضوب عليهم) أمثال اليهود.
6. ليس الإنسان بقادر على الحصول على العلم لوحده، والله هو صاحب العلم ومصدره، لذلك كان الحديث القدسي في صحيح مسلم (يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته. فاستهدوني أهدكم) الراوي: أبو ذر الغفاري المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - لصفحة أو الرقم: 2577. فهذا الحديث يتكلم عن أول مرحلة من مراحل الضلال، الأولى أي عدم العلم (كلكم ضال) وكما قلنا يجب أن نسعى للحصول على العلم المانع لهذا الضلال (فأستهدوني)، ويتكلف لنا الله بتعليمنا (أهدكم) - كما علم آدم الأسماء كلها.
7. عندما خلقنا الله، إستودعنا في ظهر أبونا آدم على شكل سلالة من طين، وفي هذه الحالة كان (عدم العلم) هو الصبغة لجميع من في السلسلة.
8. عندم سُئل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عن متى كنت نبياً يا رسول الله؟ أجاب أنه كان نبينا لما كان آدم ما بين الجسد والروح، ففي الحديث (قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين



الروح والجسد)، الراوي: أبو هريرة احدث: الألباني - المصدر: صحيح الترمذي - لصفحة أو الرقم: 3609 - خلاصة حكم

احدث: صحيح، ولا يمكننا هنا إلا أن نقول أن سيدنا محمد كان في مرحلة الضلال الأول - بمعنى عدم العلم.

9. قبل أن يهبط سيدنا آدم للأرض، أخذنا سبحانه وتعالى من ظهر سيدنا آدم وأخرجنا ونثرنا أمامه في عالم الدر وقال لنا، أنا الله، ولا إله إلا أنا، أتشهدوا بهذا؟ ونحن قلنا نعم نشهد يا الله، يقول عز وجل في سورة الأعراف (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) وهذا هو العلم الدافع للضلال، يتجاه الهداية، ففي هذا العلم خرج الجميع من دائرة الضلال ودخلوا في دائرة العلم أي دائرة الهداية، وأقول الجميع من آدم إلى آخر الخلق يوم القيامة.

10. عندما أعادنا عز وجل إلى ظهر سيدنا آدم، بقي هذا العلم في قلوبنا فيما يعرف بالفطرة، حتى جاء الوقت

المختوم الذي شاء الله فيه أن ندخل في عالم الحياة الدنيا من خلال الولادة، يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل

البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء.) - الراوي: أبو هريرة احدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري -

لصفحة أو الرقم: 1385 - خلاصة حكم المحدث: [صحيح]. فإما أن يبقى هذا العلم في قلوبنا ونسعى بعقولنا وأفئدتنا

لتذكر هذا العلم من خلال آيات الله في الكون ومن خلال الأنبياء والرسل والكتب السماوية فتتوسع

دائرة الهداية والنور ويرتفع الإيمان والتقوى في قلوبنا، وإما أن نتراجع عن هذا العلم فنترد ضالين خارجين

من دائرة النور شيئاً فشيء حتى نصل إلى أعلى مراتب الضلال فنصبح من (الضالين - أمثال النصارى)،

أو أن نتكبر على حقيقة ما علمناه معتقدين أننا أفضل من غيرنا فنصبح من (المغضوب عليهم - أمثال

اليهود).

- الآن، آن الآوان لأن نعود لآيتنا الكريمة وننظر إليها وحال سيدنا محمد فيها، فسيدنا محمد خلق وكان كما

كان باقي الخلق في دائرة الضلال، أخرج من ظهر سيدنا آدم وأجاب الله بأن قال (بلى شهدنا) فخرج من

دائرة الضلال لدائرة الهداية، ثم ولد في الدنيا وفي قلبه كلمة (لا إله إلا الله) يستشعرها وبرها في آيات الله في

الكون، في السماء في الماء في الهواء في التراب في نفسه في كل شيء، ويريد أن يتعلم عنها أكثر وأكثر محبة لله

وتقرباً له عز وجل، إلا أنه لم يجد أحد يعلمه ويفقه ويدله على الطريق، فهل إستسلم كما كان يفعل البقية؟



هل ترك السؤال كما تركه غيره؟ هل ركن إلى الإجابات الخاطئة التي لم يقبلها قلبه بأن عبد الأصنام كما فعل غيره؟ لا لم يستسلم، ولم يترك السؤال، ولم يجعل الدنيا تلهيه عن هذا الأمر الجليل العظيم، لقد أصر على السؤال وألح للحصول على الإجابة، حتى أنه خرج يتعبد الله في الجبال وفي المغارات والمغفر، أصر على الله أن يعلمه ويفقهه ويدله على الطريق، حتى جاءه الفرج من الله بأن أمده الله بكلماته وعلمه، فارسل له الملك الأمين جبريل عليه السلام بأول كلمات الله التي تشكره على سعيه للمعرفة والتعلم وتطلب منه أن يصبر ويصبر ويتعلم (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) - فكان فضل الله عليه صلى الله عليه وسلم عظيماً أن منَّ عليه بالعلم، وهذا معنى قوله عز وجل (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى).

خلاصة القول في الهداية والضلال

- البعض يعتقد أن الهداية أمرٌ يتعلق بالإنسان وحده، وأنه هو الذي يقرر في أي طريق يسير، طريق الهداية أو طريق الضلال، وهذا الاعتقاد ناقص، لأنه ليس بإمكاننا أن نتعرف على طريق الهداية من طريق الضلال، أو أن نتعرف على الصواب من الخطأ أو نميز الحلال من الحرام بلا أمر الله، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله، والصواب ما صوابه الله، والخطأ ما خطاه الله، أضف لهذا كله أننا لا نستطيع أن نسير في طريق الصواب أو حتى في طريق الخطأ بلا حول ولا قوة من الله، فنحن معدومي القوة والحول ولا نستطيع أن نفعل أي شيء مهما كان بسيط لوحدنا، ونحن بحاجة أن يمددنا أو يمدنا الله بقوة وحول من عنده كي نتمكن من فعل الأشياء، تذكر قولك عند خروجك من بيتك أو عند سماعك للمؤذن والذي علمنا إياه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فلا حركة ولا سكون إلا أن يشاء الله، حتى في علوم الفيزياء يقول العلماء (الجسم الساكن يبقى ساكناً والجسم المتحرك يبقى متحركاً ما لم تؤثر عليه قوة تغير من حركته أو سكونه).
- البعض الآخر، يعتقد أن الهداية كلها من الله مفروضٌ علينا، وليس لنا شأن فيها، متمسكين بفهمهم لقوله عز وجل في سورة القصص (إِنَّكَ لَأَنْتَ هَادِيٌّ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)، وهذا الاعتقاد أيضاً خطأ، فكأننا نقول أن الكافر كافرٌ لأن الله فرض عليه الكفر وأن المطيع مطيع لأن الله فرض عليه الطاعة.



• والحق أن الامر هو بين بين، فلا هو جبر بالكلية، ولا هو خيار بالكالية، فالله هو خالق كل شيء، فليس من مخلوقاته من هو قادر على فعل شيء إلا أن يشاء الله أن يمدده أو يمدده بحول منه وقوله، إلا أن الله قد خلق فينا المشيئة التي نستطيع من خلالها أن نقرر ماذا نريد أن نفعل، أن نذهب يمينا أو أن نذهب يساراً، وهذه القرار الداخلي الذي نسميه النية، هو ما يحاسبنا عليه سبحانه وتعالى، يقول صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)، فإن نحن قررنا أن نقوم بعمل ما، فإن الأمر عائد لله بأن يأذن بحدوثه أو لا يأذن، فلسنا من يقوم بالعمل، وليس عندنا قوة العمل، ولكن الله يحدث الأمور وينشيئها ويخلقها عندما يشاء، فنتيجة النية أو العمل إنما هي من الله، لذلك فإن الله لا يحاسبنا على النتيجة ولكن يحاسبنا على النية، ولكن من كرمه عز وجل أنه إذا صدف أن وافقت نيتنا نحن فعل الله وعمله ضاعف لنا الحسنه لعشرة أمثالها، وهكذا هو الحال في الهداية والضلال، فقد جعل الله فينا المشيئة أن نستطيع أن نختار السير في طريق الهداية أو السير في طريق الضلال، أما الطريق فهو من خلق الله، وأما السير فيه فهو من حول الله وقوته ومشيئته، ولكن من كرمه عز وجل، أنه إن نحن قررنا أن نسير في طريق الخير فإن الله ييسر لنا هذا الطريق ويمددنا بقوة وحول أكبر مما يحتاجه هذا العمل، فنعتمد ونظن أننا من قام بالعمل، أما إن نحن قررنا أن نسير في طريق الضلال، فإن الله يصعب علينا الطريق على أمل أن نتركه، ولكن إن نحن أصرينا على السير فيه، فإن الله لا يمنعنا جبراً بل ويمدنا -بمعنى يعطينا على قدر ما طلبنا- بالقوة والحول التي تمكننا من معصيته بإذنه سبحانه وتعالى، فيعتقد العاصي أنه استطاع أن يعصي الله، فما أكرمك يا الله، فما من ملجء منك إلا إليك. اللهم علمنا ما جهلنا، اللهم ذكرنا ما نسينا، اللهم علمنا التأويل، اللهم علمنا التفسير، اللهم فقها في الدين، اللهم افتح علينا فتوح العارفين، اللهم أمددنا بعلمك وقوتك وحولك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.